في الأدب

نهضة المعارف في مصر

جمال الدين الأفغاني - ٤

للأستاذ حسين محمود المدرس بمدرسة المعلمين بطنطا

انجلت الثورة العرابية عما انجلت عنه ، والسيد الزعيم جمال الدين مازال معتقلا في الهند فلم ير الانجليز بأساً من فك إساره : ليضرب في الأرض ما شاء : على ألا يلج أبواب مصر فقصد باريس سنة ١٨٨٣ وهي مغرس الثورة وأول مدينة في أوربا شع فيها نور الحرية فزلزلت العروش الجبابرة وعلمت الشعوب كيف يتنفسون ويرسلون الأنفاس حارة قوية ، فتعلن حقوق الانسان في كل مكان . رأى السيد أن عضده الأيمن وتلميذه الفريد محمد عبده ما زال منفيا في الشام فاستوفده فجاء على عجل : وهناك عملا على بسط قضايا الشرق والإسلام للعالم المتمدين : فنشرا على الناس بالصحف السيارة فضائل الإسلام ومزاياه ، وشرحا ما وصف فيه الشرق من أغلال ، وكانت انجلترا الهدف الذي صوبا إليه سهامهما خاصة : ثم رأى ساسة الشرق أن لسانهم الصادق قد استل من غمده ، فأمدوه بالمال والرأي ، وأسسوا جمعية (العروة الوثقى) على أن تكون لها صحيفة تطبع في باريس باللغة العربية بهذا الاسم أيضا ، فصدرت الجريدة حادة الأسلوب : بليغة العبارة ، يدير سياستها السيد ، ويكون رئيس التحرير محمد عبده : واستطعت أن أتبين في مجموعتها قلم الشيخين ، فرأيت ما كان منها خالصا للفلسفة والشدة ، وإثارة النفع وإطراب الشعور ، مع عدم الدقة في الأسلوب البياني ورصف العبارة من عمل السيد ، وما كان رصين العبارة قوي التركيب عليه مسحة الأديب الضليع ، من قلم الشيخ عبده ، والاثنان يلتقيان في النزعة الإسلامية : والإشادة بمجد الإسلام : والتغني بماضيه ، والأسف على حاضره .

صدرت الجريدة ووزعت في بلاد الشرق ، فأقامت الدنيا وأقعدتها ، وحركت الشعور الكامن : وذكرت ما كادت تنسيه سطوة الاستعمار .

رأى الانجليز أن جمال الدين عاد إلى مصر كرة أخرى ، وإن لم يعد بشبحه وعنداده : فقد عاد بروحه وجنانه : والصدور جياشة ، والداء دفين : وأن الدعوة إلى تعاضد المسلمين

ومقاومة الاستعمار والمطالبة بالحقوق قائمة على ساق وقدم فى مصر والهند وبقية بلاد الأسلام بسبب هذه الوثيقات الملهبة للصدور التى يذيعها جمال الدين فى أنحاء العالم الأسلامى، فأوعزوا إلى الحكومة المصرية بمصادرتها، حتى أعلن فى الوقائع الرسمية أن كل من توجد عنده (العروة الوثقى) يغرم خمسة وعشرين جنيها، وحسبى أن أنقل إلى القراء طرفاً من هذه الصحيفة بعنوان «تنبيه» : —

« وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله، وبشر الذين كفروا بعذاب أليم » ملعون من يمكن الأجانب من دياره : ملعون من يختلج فى صدره أن يلحق عاراً بأمته : ملعون من يخون بلاده لمرض فى قلبه : ملعون من يبيع أهل ملته بحطام يلتذ به : عجبا عجبا لاحول ولا قوة إلا بالله !..)

عظم أمر هذه الصحيفة حتى رأى الأنجليز المفاوضة مع السيد جمال الدين، فأرسل الشيخ عبده لهذا الغرض إلى لندره : وفى ذلك تقول الصحيفة : لاقى محرر هذه الجريدة كثيرا من رجال السياسة الأنجليزية : وأفنذ الناس رأيا فيها، وقد جرت بينه وبينهم محادثات طويلة فى الأحوال المصرية، ومن محادثاته ما نشر بالصحف الأنجليزية : ثم استمر الكاتب يلهب النار على الأنجليز ومكرهم ودهائهم واتساع مطامعهم : وكانت هذه المفاوضة مع وزير الحربية الأنجليزية لتخدير الأعصاب، وجس النبض، فلم يجدوا من الشيخ إلا إباء وتمسكا بالحقوق، وظلت الحكومة تكيد لهذه الصحيفة، وتصد فى وجهها أبواب الشرق، وتعادى من تظن أنه يراسلها أو يساعدها حتى نضب موردها وعجز السيد عن إصدارها، بعد أن صدر منها ١٨ عددا فى باريس، وظل السيد وتلميذه ثلاث سنوات، فعاد محمد عبده إلى الشام، وأخذ جمال الدين يجوب أنحاء أوروبا ناشرا دعوته : ثم اتصل بشاه إيران فرتب له أن يسافر معه إلى بلاده فرافقه، ولكنه لم يطق صبرا على دعوته إلى الحرية وتنبيه الشعب الأيرانى إلى الظلم الذى يرسف فى أغلاله، واعتبر الأصلاح الذى يدعو إليه جمال الدين مناقضا لسلطته فأجلاه عن بلاده بعد أن أعد له كتائبه الجرارة لتعتقله وتسوقه إلى خارج الحدود، كأن لسان جمال الدين معمل من معامل الأسلحة أعدت لمحاربة الطغيان .

قصد السيد لندره سنة ١٨٩٢ بعد أن عاد إلى أوروبا وطاف فى بعض أنحائها، وأخذ ينشر دعوته ضد شاه إيران، ومضى فيما كان يسبيله من ذكر مساوىء الاستعمار، وما تلاشى وبلاد الأسلام من حقوق : وأسس هناك مجلة (ضياء الخافقين) بالعربية والانجليزية . ولكن المستعمرين لم يعجزهم اعتقال هذا اللسان فى مكان القتك بأحرار الأسلام، أعنى (استامبول) عش الدسائس وميعاة الطغيان، فأرسل السلطان عبد الحميد إليه بوساطة سفير تركيا فى لندره كتاباً لطيفاً يستدعيه إليه، فتردد السيد واعتذر، ولكن السلطان وجه إليه رسالة أخرى

كلها إكبار وإجلال ودعوة للضيافة فقبل أخيراً وسافر ، فأعد له السلطان قصراً جميلا وفرض له سبعة وخمسين جنيهاً شهرياً ، ولكنه أحس أنه شبه معتقل ، وأنه يقضى بقية حياته فى حديقة غناء فيها النعامين الفتاكة ، وهكذا نصب الفخ فأصاب عزة وحسن نية ، وكما تضرع لهم أن يطلقوه لم يسمحوا له بالسفر كما قال المتنبى :

أصخرة أنا مالى لا تحركنى هذى المدام ولا هذى الأغاريد
ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه أنى بما أنا باك منه محسود

قضى السيد خمس سنين فى الآستانة محاطاً بالجواسيس ، تعد عليه أنفاسه ويخشى بأسه ، وصاريته موئل الأحرار دعاة الإسلام والحرية . يستقبله السلطان أحسن استقبال ، ويستشيره وهو يحذره ، ويحدثه وهو ينوى استكناه مافى نفسه من قولاذ ، يريد أن يدك به أوكار الاستبداد ، والسيد ، كما قدمنا فى مقالاتنا الماضية ، لايعرف الخوف إلى قلبه سبيلا ، كما لم يعتد المحافظة على السر خشية البطش به ، لأنه يذر نفسه فداء للإسلام وحرية المسلمين ، وأنه لايخاف على مال ولا ولد . دخل عليه بعض الجواسيس فقال له : ياسيدنا ما رأيك فى الإيمان وهل يزيد وينقص ؟ فقال : أما فى القرى والأرياف فلا يزيد ولاينقص ، وأما فى المدن فيزيد إيمان الإنسان وينقص كل ساعة ، خصوصاً إذا أحاط به شياطين كأعوان عبد الحميد . ومن قوله : إن النبى صلى الله عليه وسلم كان يربى أصحابه بفعله أكثر مما يربيهم بقوله ، ولابد أن تكون قوى الإيمان ثابت العزم ، لا تدع آدمياً ينال منك ، وكثيراً ما كان يتلو قوله تعالى : « أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم » .

ذكر الأمير الجليل (شكيب أرسلان) أطال الله عمره فى كتاب (حاضر العالم الإسلامى) أن السيد جمال الدين وعبد الله نديم المصرى الخطيب المشهور ، اجتمعا فى أحد المتنزهات فصادفا الخديوى عباسا وتحادثوا تحت شجرة هناك ، فقيل إن الشيخ أبا الهدى الصيادى ذلك الذى استولى بشعوذته على عقل السلطان عبد الحميد ، قدم تقريراً إلى السلطان بأن جمال الدين وعبد الله نديم ، تواعدا مع الخديوى على الاجتماع تحت الشجرة - إشارة إلى ما أشيع من تطلع الخديوى إلى الخلافة الإسلامية - فحصلت من ذلك وحشة بين السلطان وبين السيد ، وشماتة لاستمراره على ذم شاه إيران مما حمل سفيرها على الشكوى منه ، فاستدعاه السلطان وطلب منه الكف عن مهاجمة الشاه ، ولكن حدث أن قتل الشاه بعد ذلك ، فاشتدت الريبة فى جمال الدين واتجهت إليه شبهة التحريض على قتله ، فأمر السلطان بتشديد الرقابة عليه ومنع الناس من الاختلاط به ، فأصبح السيد أسيراً فى قصره ، ثم اشتد عليه مرض السرطان بعد ذلك ، ويرجح المؤرخون أنه مات مسموما إذ مرضت أسنانه فلقحت

شفتاه عادة سامة ، واشتد السرطان فى فكيه بعد ذلك ؛ فعملت له عملية جراحية لم يراع فى إجرائها الإخلاص وواجب الذمة ، فتوفى صبيحة الثلاثاء ٩ مارس سنة ١٨٩٧ ، ولما بلغ الحكومة نعيه أمرت بتسبيط أوراقه وبدفنه سريعاً من غير احتفال ، فسار نعشه بين جموع من الشرطة إلى أن ووارى التراب ذلك القلب الجرىء الذى عز نظيره ، وخسر الإسلام بموته خسارة لم تعوض إلى يوم الناس هذا .

وزاد الطين بلة قبيل وفاته ، أن قطع السلطان عنه ما كان يجريه عليه ، فاشتدت به الحاجة وألح عليه الفقر ، وكأن الله أراد أن يلحق بأسلافه من المجاهدين بائساً فقيراً ، وألا يفارق الدنيا فى نعمة ووفر ، فيكون شأنه شأن (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) ولقوا ربهم فى شقاء الغربة وشقاء العوز وفقر التصراء .

حدث الرحالة الشيخ عبد الرشيد إبراهيم الروسى الذى بلغ من الكبر عتيا ، والذى يجاهد لإعلاء كلمة الإسلام فى بلاد اليابان الآن ؛ أن السيد لما اشتد به المرض دعاه بيده لأنه ما كان يستطيع التكلم وأخذ ورقة وقلما وكتب فيها : (تشهد يا أخى أن آخر كلام النبى صلى الله عليه وسلم : أمتى أمتى أمتى ، وأنا أقول : ملتى ملتى ملتى) .

وهكذا أتى السيد المجاهد فى حفرة ، وقد كانت الدول تضيق عنه والعالم الإسلامى لا يعول إلا عليه ، واختفى قبره وبقى فى القلوب ذكره ، لولا أن قيض الله محسناً أمريكيا محباً للشرق وصديقاً للمسلمين هو المستر كراين ، بحث عن قبره بين أعمار القبور وتحققه وعرفه سنة ١٩٣٦ فأقام عليه شاهدا فخما من الرخام نقش عليه اسمه ، ليذكر المسلمين بجميلهم التى انطفأت ، وبمواقفهم التى نام ، وبمجدهم الذى تزعزعه الرياح ، وأنهم لا يذكرون الجميل إلا حيث يقوم العمل وتضىء الشمس ، وهيهات ، وأن الإسلام عاد غريباً كما بدأ !

طنطا

مصطفى صادق الرافعى

فى الفخر ..

وإنى لئن منيت نفسى بمطلب ... تتبعته حتى يتم المطلب

وعندى أنى لا أعيش بذلة ... فعزة بالموت أحلى وأعذب

خليلى إنى لا أبالى بسؤدد ... لغيرى ولا أسعى إليه وأدأب

ولكنما أسعى لتأسيس سؤدد ... ينضى إليه الغير يبغى ويطلب

عبد الحفيظ يوسف

رئيس نقابة أبى قرقاص

دراسة وتحليل

عمرو بن معد يكرب الزبيدى

هو عمرو بن عبد الله ، ينتهى نسبه إلى زيد بن صعب بن سعد العشيرة . شاعر مخضرم وفارس عنى مقدم . نشأ كبقية الشعراء الجاهليين يجوب الفيافى والتلاع : ينازل الشجعان ، ويغير على الجيران . ويتعرض للقتال طلبا للثأر والجوارى الحسان .

ويكنى عمرو « أبا ثور » وهو لقب أطلق عليه لبلائه الحسن وشجاعته الفذة فى الغارات والوقائع التى شهدها فى الجاهلية والأسلام .

وكان صدقه عن نفسه فى وصف تلك الوقائع من صفاته الحميدة . ولو أن بعضهم يأخذ عليه حادثة وقعت منه ويعتبرها أساسا لوصفه بالكذب طوال حياته ، وتلك هى الحادثة فلنلخصها ولنحكم بها عليه أوله :

يروى أنه وقف يوما بالمربد يتحدث مع الناس فقال : أغرت يوماً فى الجاهلية على بنى مالك فخرجوا مستنجدين بخالد بن الصعتب فحملت عليه بالصمصامه فقطعت رأسه . وكان خالد حاضرا فقال بعض الجماعة : مهلا أبا ثور ، كان قتيلك يسمع كلامك ! وأشار إليه . فقال عمرو : اسكت إنما أنت جليس فاسمع أو قم ! ثم التفت إلى خالد وقال له : إنما نرهب هؤلاء الناس بهذه الأخبار ومضى فى حديثه ولم يقطعه .

فهل إذا كان خالد هذا يعتقد كذب عمرو « فى قوله له إنما نرهبهم بتلك الأخبار » يسكت ولا يبدى حراكا وهو من العرب الجاهليين البدويين الشجعان المنجدين للغير ؟ كلا !

أم هل كان عمرو ماجنا كذوباً لا يصدق ، أو مهملا فلا يهتم به . كلا ! كان ذلك الرجل النبيه الحصيف الرأى بشهادة أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب .

وسأقص أقصوصة قصيرة لحادثة تروى لعمرو تدل دلالة صريحة على أنه كان ذا مكانة رفيعة ، وكان صادق القول والفعل :

أتى عمرو مجاشع بن مسعود بالبصرة يسأله الصلة ، فقال له اذكر حاجتك . فقال حاجتى صلة مثلى . فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وفرساً من بنات القبراء ، وسيفاً قلعيا وغلاماً خبازا فلما خرج من عنده سأله جماعة : كيف وجدت صاحبك ؟ فقال : لله در بنى سليم ! ما أشد فى الهيجاء لقاءها ، وأكرم فى النزلات عطاءها ، وأثبت فى المكرمات بناءها ، والله لقد قاتلتها فما أجنبتها ، وسألتها فما أبخلتها ، وهاجيتها فما أفحمتها ثم قال :

ولله مسئولا نوالا ونائلا وصاحب هيجاء يوم هيجا مجاشع

وإنك لتلمس الصدق يفيض من تلك الفقرات ؛ فهو يقر ويعترف على نفسه . انه لم يكد بنى سليم بأفعاله التى ذكرها فى كلته . فكيف تتهمه بالكذب وقد قال فيه أبو تمام :

إقدام عمرو ، فى سماحة حاتم فى حلم أحنف ، فى ذكاء إياس .

كانت فى عمرو عجلة ربما كانت سبباً فى ذيوع صيته ؛ ولاريب ولاعجب فقد كانت تدعوه للاقدام على كل أمر يريده غير هياب ولا وجل . وسأذكر بعض حوادثه فى الجاهلية وفيها العجلة متمثلة صريحا :

روى أنه خرج فى سفر فلقى امرأة من كندة يقال لها (حبى) فلما رآها أعجبه جمالها وكمالها وعقلها فعرض عليها نفسه فقال : هل لك فى كفء كريم ، ضروب لهامة الرجل الغشوم ، موات طيب الحيم ، من سعد فى الصميم ؟ قالت : أمن سعد العشيرة أنت ؟ قال : من سعد العشيرة فى أرومتها الكبيرة ، وعزتها المنيرة إن كنت بالفرصة بصيرة . قالت نعم زوج الحرة الكريمة ، ولكن لى بعلا يصدق اللقاء ، ويخيف الاعداء ، ويجزل العطاء . فقال : لو علمت أن لك بعلا ما عرضت عليك نفسى ، فكيف أنت ان أنا قتلته ؟ قالت لا أصيف عنك ولا أعدل بك ، ولا أقصر دونك ، وإياك أن يدرك قولى فتعرض نفسك للقتل فأنى أراك مفردا من الناصر والأهل ، والرجل فى عزة من الأهل وكثرة من المال . فانصرف عنها عمرو وجعل يتبعها من حيث لا تعلم به ، فلما قدمت على زوجها جاء عمرو مستخفيا حيث يسمع كلامها ووقف . فسألها بعلها عما رأت فى طريقها ، فقالت رأيت رجلا مختبلا لايأس يتعرض للقتال ، ويخطب حلائل الرجال فعرض على نفسه فوصفتك له . فقال : ذلك عمرو ، ولدتنى أمه إن لم يأتك مقرونا إلى جمل صعب غير ذلول . فلما سمع عمرو كلامه دخل عليه بغتة من كبر خبائه فقتله ووقع على (حبى) ثم قال لها : إنى لم أقع على امرأة فى جاهلى إلا حملت ، ولا أراك الا قد حملت ؛ فان ولدت جارية فسميها « عكرشة » وإن ولدت غلاما فسمه « خزازا » وأعطاها علامة ومضى .

وإنا لنرى العجلة ظاهرة بينة من تعرضه لحبى ؛ وفى قتل زوجها ؛ على أنها عجلة لم تهبه رينا ؛ بل كانت عجلة تهب الظهور والذيوع .

مكث عمرو بعد تلك الفعلة دهراً ، ثم خرج ذات يوم يتعرض للقتال وعليه سلاحه فاذا هو بفتى على فرس شاك السلاح ، فدعاه عمرو للمبارزة ، فأجابه الفتى :

فلما اتحدا صرع الفتى عمراً وجلس على صدره ليذبحه وسأله من أنت ؟ فقال أنا عمرو فهز الفتى عن صدره وقال : أنا ابنك « الخزر » وأعطاه العلامة التى أعطاها عمرو (حبى) فأمره عمرو أن يسير إلى صنعاء ولا يكون ببلدة هو بها ؛ ففعل الغلام ذلك . ولكن لم يلبث أن صار سيد من كان بين أظهرهم فاستعبروه وأمروه أن يقاتل عمراً وشكوا اليه فعله بهم ؛

فسار إليه بجمع من أهل صنعاء، فلما التقيا شد كل منهما على صاحبه فقتل عمرو الخزرجي وفي ذلك يقول :

تمنانى ليقتلنى وأنت لذاك معتمده
فلو لاقيتم فرسى وفوق سراته أسده
إذاً للقيتم شثن البراثن أن نابياً كنته
ظلوم الشرك فيما أعلقت أنفاره ويده
يلوث القرن اذ لاقى ثم يضطربه

إلى أن يصل الى ذكر ابنه ووعده إياه فيقول :

أمرتك يوم ذى صنعا ، أمراً بيناً رشده
فكنت كذى الحمير غداة من عيره وتده
ولو أبصرت فى البصر ان قل من يجده
إذاً لعلمت أنى أبا ك لبث فوقه لبده

كان عمرو شاعراً فى الجاهلية فلا عجب أن يتطبع بطبائع الجاهليين وينهج منهج الشاعر الجاهلى ، ولا ضير عليه إن أحب أو تغزل فى نساء كثيرات على أنه كانت له محبوبة فاقت كل النساء فى عينه وملكت عليه مشاعره .

وكانت تلك المحبوبة جارية لبعض أهله ، ولهيامه بها وشدة حرصه عليها أعطى فيها صاحبها كل مايملك وهو سبعمائة دينار على أن يبيعها أياه فأبى بيعها له ؛ فجن جنونه وفقد عقله ؛ وشهده على تلك الحال بن عاصم وفى ساعده وردة فذكر له شعرا من الشعر فتهيج وقال :

جعلت من وردتها تميمة فى عضدى
أشمها من حبها إذا علانى جهدى
فمن رأى مثلى فتى للحزن أضحى يرتدى
أسقمه الحب فقد صار قليل الأود

ولقد عاش عمرو بقية حياته وفى نفسه عقابيل من حب تلك الجارية ، ولقد كانت تبادله ذلك الحب وكان أصحابه يحولون بينها وبينه ، ولكنه صبر على تلك الحيلولة شأنه فى ذلك شأن القائل :

صبرت على دائى احتسابا ورغبة ولم أك أحدوثات أهلى وخلتى .

عرض الله الدرهم قنديل
مدرسة عباد بن الصامت

عمرو بن الأهتم

سنحدثك اليوم عن رجل نبيل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذلك هو عمرو بن سنان ؛ بن سمي ، بن سنان ؛ بن خالد ؛ بن منقر التميمي .

كان عمرو تغمده الله برحمته كريما سميذعا ، سليم الذوق ؛ صفي الطبع ، زكي الفؤاد ؛ ذرب اللسان ، ثابت الجنان ؛ حاضر البديهة ، سريع الخاطر ؛ قوي الحجة ؛ يختلب الألباب بطلاوة حديثه ؛ ويستهوي الأفئدة بسحر بيانه ، وكفاه فخراً أن قال له الرسول لما سمعه : إن من البيان لسحرا » .

نشأ بن الاهتم في بادية نجد في أواخر القرن السادس الميلادي وشهد أكبر انقلاب في تاريخ البشر ألا وهو ظهور الإسلام . فوفد مع قومه بني تميم وأسلم معهم وكان إذ ذاك حدثا فأعطاه الرسول مثل ما أعطى لسائر قومه وأنف قيس ابن عاصم راغم .

جلس عمرو ذات يوم في مجلس المصطفى ومعه الزبرقان بن بدر . وكانا إذ ذاك حديثا عهد بالإسلام فقال الزبرقان : يارسول الله . أنا سيد تميم ، والمطاع فيهم ، والمجاب منهم ، آخذ لهم بحقهم ، وأمنعهم من الظلم وهذا يعلم — يشير إلى عمرو فقال عمرو : أجل يا رسول الله إنه مانع لحوزته مطاع في عشيرته ، شديد العارضة فيهم .

فقال الزبرقان : أما إنه قد علم أكثر مما قال ولكنه حسدني شرفي ، فقال عمرو : أما لئن قال ما قال فو الله ما علمته إلا ضيق العطن ، زمن المروءة ، أحمق الأب ، لئيم الخال . حديث الغنى ، وما كاد يتم حديثه حتى تربد وجه النبي وظهرت الكراهة في عينه لاختلاف قوله . ولما رأى ذلك قال يارسول الله :

رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الثانية ، فأعجب الرسول ببلاغته وصفاء قريحته وتوقد ذهنه فقال : إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة .

وقد جمع عمرو إلى كمال الخلق وجمال النثر : جمال الخلق ، فكان يسمى « المكحل » لوضاءة وجهه وحسن تقاسيمه ، وقد أنجب بنتا سماها «أم حبيب» كانت آية في الجمال اقترن بها بن علي رضي الله عنه ، وكان إلى ذلك شاعرا محسنا بديع اللفظ ، مونق المعنى نغم الديباجة ، رائع الأسلوب . ولذا قالت الجاهزة في وصف شعره : كأنه الحلل المنشرة عند الملوك تأخذ منه ماشاءت . وقد جال عمرو في كثير من فنون الشعر : فتغزل وافتخر ومجا وعاتب ونصح وقال في الحكم والقصص . ومن أبياته السائرة قوله :

وكل كريم يتقى الذم بالقرى ... والخير بين الصالحين طريق
لعمرك ماضاقت بلاد بأهلها ... ولكن أخلاق الرجال تضيق

ومن قوله يلوم امرأته إذ عذلته على كرمه وحضته على الاقتار :

ذريني فان البخل يأم هيثم ... لصالح أخلاق الرجال سروق
ذريني وحظي فى هواى فانني ... على الحب الزاكى الرقيع شفيق

ماأجمل معنى هذين البيتين وألطفه ، وما أجمل قوله فى الفخر بحسبه ونسبه :

نمتنى عروق من زرارة للعلى ... ومن فدكى والأشد عروق
مكارم يجعلن الفتى فى أرومة ... بفاع بعض الوالدين دقيق

ولقد أوصى عمر ابنه ربعى بوصية جميلة جامعة لكثير من أحكام الاجتماع .فأوصاه بألا يفسد عهد قومه وأن يرعى الجار ، وأن يعنى بأكرام الضيف لأنه سيرتحل وسيحدث بما لاقى . وأنه لم يسأل. وإليك ماقال:

لقد وصيت ربعى بن عمرو ... إذ أحزبت عشيرتك الأمور
بأن لاتفسدن ماقد سعينا ... وحفظ السورة العليا كبير
وجارى لاتهنه وضيفى ... إذا أسى ورواء البيت كور
أصبه بالكرامة واحتفظه ... عليك فان منطقه يسير

وأوصاه بغير ذلك مما يطول بنا المقام لو سردناه. وتشاء الأقدار الساخرة أن يرتد عمرو عن الاسلام بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم .ويتبع رسولة ربه سجاحا التميمية ، ولكنه لم يلبث أن ثاب إليه رشده فتاب إلى ربه وأناب...

وفى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفد إليه هو والأحنف بن قيس وأراد عمر أن يقرع بينهما فى الرياسة فقال الأحنف :

لوى قدحعن قومه طالما ثوى ... فلما أتانا . قال قومو تناجروا

ولما سمع هذا البيت قال للأحنف : كنا وأنتم فى دار جاهلية فكان الفضل فيها لمن جهل فسفكنا دماءكم وسبينا نساءكم وإنا اليوم فى دار الأسلام والفضل فيها حلم فغفر الله لنا ولك ولما وقعت القرعة على عمرو وغلب يومئذ على الأحنف قال فى ذلك :

لما دعتنى للرياسة منقر ... لدى مجلس أضحى به النجم باديا
شددت لها أزرى وقد كنت قبلها ... لأمنالها مما أشد إزاريا

وقد لبث عمرو حتى سنة سبع وخمسين من هجرة المصطفى فاصطفاه الله الى جواره أمطر الله على جدثه شآبيب المغفرة والرضوان.

السيد أحمد صقر